عاطفـــة الأبوة

فى « أعاصير مغرب »

للأستاذ إدوارد حنا سعد

فى ديوان « أعاصير مغرب » الذى صدر حديثاً للشاعر الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد موضع لبعض الدهشة ، فقد وجدنا فيه الشاعر الذى نعرف ، ولكننا لم نجد فيه العاشق الذى نعهد . فإن من الصعب أن يقال إن الأستاذ العقاد الذى كان يقول فى دواوينه الأولى — عند ما يلمس خداع المشيقة أو يشك فى ذلك — :

جمالك سم فى الضلوع وحسرة ترد مهاد العفو غير ممهد
إذا لم يكن بد من الكأس والطلا ففى غير بيت كان بالأمس مسجدى

والذى كان يقول :

ما كنت يوماً بالأنام موكلاً فأعد منهم من يضل ويرشد
لو كنت نوحاً لم تفدك سفينتى إن ابن نوح كان فيمن ألحدوا

هو نفسه الذى يقول فى ديوانه الجديد :

أعفيك من حلية الوفاء إنك أحلى من الوفاء
خونى فما أسهل التقصى عندى وما أسهل الجزاء
وليس بالسهل فى حسابى فقدك يا زينة النساء

وقد حاول بعض الكتاب أن يرد هذا الاختلاف إلى أساسه، فقال الأستاذ كامل الشناوى فى الأهرام : « إن العقاد الشاعر كان ينظم وعين العقاد الكاتب الفيلسوف ترمقه وترعاه »

ولكنى أرى أن الأستاذ الشناوى قد أخطأ المحز وكان الأولى به أن يقول إن عاطفة الأبوة كانت ترمق العقاد وترعاه ، بل كانت تسيطر عليه وتملى نفسها على شعره إملاء

فقد بلغ الأستاذ العقاد سن الخمسين وهى السن التى تهدأ فيها فورات العشق وتبدأ النفس تستعرض مواكب الذكرى وتحن إلى الحياة الوادعة وإلى حنان الأسرة . ويكون هذا الشعور — أقوى ما يكون — فى النفس المصرية التى انغرس فيها من قديم معنى الأسرة وتعلقت بها

وقد يصادف الإنسان فى هذه السن عشيقة يجد فى سنها أو حركاتها أو سماتها ما يوقظ فيه من جديد عاطفة الأبوة ، فيختلط الحب الجنسى وهو أثرة مستترة ، بالحب الأبوى وهو إيثار صريح ، فيكون منهما مزاج نقرأه الآن فى أعاصير مغرب

فهذا الديوان الفذ حافل بأوصاف الطفولة وتدليلها وألعابها وحلواها إلى حد يلفت النظر :

غريرة تسأل ما الحبُّ ؟
بنيتى هـــذا هو الحبُّ

ضمى ثغيرك يا بنية وابغى منه الأمل

بنيةُ ما صنعتِ ، جزاك ربى بحب فى مشيبك مثل حبى
ماذا تخبىء طفـــلة رقت ورق فتاتهـــا
ما شب من نار طبخ تنا فوقها حلوى الهوى
فكم لعبة وقعت من يديـ ـك وقوعاً أرى القلب لا يشتهيه
إنى أشاهد كيف يفـ ـطم فى القلوب رضاعهـا

فإذا تركنا هذه الأبيات الحافلة بصور الطفولة طالعتنا أبيات فياضة بعاطفة أبوة صادقة دافقة

يقول الشاعر الكبير

أحسبنى الأكبر حتى إذا عانقتنى ألفيتنى الأصغرا

وهو بيت صادق جميل فى وصف عناق عشيقين ، ولكن ليس أجمل منه ولا أصدق فى وصف عناق الأب لابنته ، حين يجد نفسه وقد عادت فيها من جديد صغيرة فياضة بتيارات الحياة

ويقول :

تم الكتاب وألقت بالبراع يدى
وضمن الطرس إحساسى وإدراكى
ما لى به غير مسرور ولا كلف ألا يسر يميناً نبتها الزاكى
ضيعت فيك مسراتى فما بقيت لى من مسرة شىء غير لقياك

فهل من محض المصادفة أن يقول الأستاذ هـذا الكلام الآن ، والآن فقط وهو الذى قضى أكثر من ثلاثين عاماً يكتب وينظم ويعتز بشعره وكتابته إلى أبعد حدود الاعتزاز

لشد ما غيرت هذه العاطفة الجديدة من نفس أستاذنا الكبير!

إن كان خلفك للوعود تدللاً بمكانك العالى لدى فأخافى
ما كنت أتبعه القطيعة آنة هو منك واعجبى يزيد تشوفى

وقد هداه إلهامه الصادق فقال :

تحديت الحياة فهل جزتنى بهذا الحب عن ذاك التحدى

نعم تحداها بوحدته وانصرافه عن الزواج أو هـذا الجانب